

7 أكتوبر: هل سمحت إسرائيل بحدوثه؟

هجوم حماس في 7 أكتوبر 2023 يُعد أحد أكثر الإخفاقات الاستخباراتية والأمنية كارثية في تاريخ إسرائيل. كما كان أحد الألغاز الأكثر إثارة للحيرة. لم تكن التفاصيل التكتيكية للهجوم معروفة مسبقًا فحسب، بل تلقت المؤسسات الإسرائيلية تحذيرات متكررة - من ضباطها، ومن مراقبي الخطوط الأمامية، ومن حلفاء أجنبي - ومع ذلك، لم يتم اتخاذ أي إجراءات وقائية حاسمة. هذا يثير سؤالاً مقلقاً: هل كانت الكارثة نتيجة مجرد الإهمال والغطرسة، أم أنها، على مستوى ما، سُمح بحدوثها؟

المعلومات الاستخباراتية المسبقة والتحذيرات المهملة

قبل 7 أكتوبر بوقت طويل، كانت الاستخبارات الإسرائيلية تمتلك خطة حماس التي يبلغ طولها حوالي 40 صفحة، والتي تحمل الاسم الرمزي “خطة جدار أريحا”، والتي وضعت - خطوة بخطوة - الهجوم النهائي: ضربات الطائرات بدون طيار، والمظليين، واختراق السياج الحدودي، والهجمات على القواعد العسكرية، والمجازر في المناطق المدنية القريبة. تم الحصول على الخطة قبل أكثر من عام وتم توزيعها على نطاق واسع بين كبار المسؤولين العسكريين والاستخباراتيين. ومع ذلك، تم رفضها كـ “طموحة”، تتجاوز قدرات حماس.

سجل التحذيرات في عام 2023 وحده مدمر. رصد جنود الاستخبارات الإشارية استعدادات تتفق مع الخطة. حذر رقيب في الوحدة 8200 رؤسائه في سبتمبر 2023 من أن الخطة “وشيقة”، مشبهاً إياها بصوت الشوفار. قدمت مراقبات الحدود - العديد منهن شابات متمركزات في نقاط المراقبة - تقارير متكررة عن تدريبات حماس، والطائرات بدون طيار، والتدريبات التي عكست خطة جدار أريحا. تم رفضهن، بل وتم تهديدهن بالعقاب لإصرارهن.

في 6 أكتوبر، رصدت الاستخبارات عشرات من نشطاء حماس يقومون بتفعيل بطاقات SIM إسرائيلية - علامة واضحة على التسلل الوشيك. قبل ساعات من الهجوم، سمع رئيس أركان الجيش الإسرائيلي هرتسي هالي في هذه التقارير في مكالمات جماعية لكنه اعتبرها تدريبات روتينية.

كل هذه الإشارات كانت متسقة، تم تهميش كل منها، ولم يؤد أي منها إلى رفع مستوى الجاهزية.

تحذيرات من الحلفاء

لم تكن إسرائيل الطرف الوحيد الذي يعرف بالخطر الوشيك. الاستخبارات المصرية حذرت نظيرتها الإسرائيلية مراراً من أن “شيئاً كبيراً” قادم. في أواخر سبتمبر 2023، أخبر اللواء عباس كامل رئيس الوزراء نتنياهو شخصياً أن حماس تخطط لعملية “فضيحة”. في الوقت نفسه، أشارت الولايات المتحدة إلى ارتفاع مخاطر عنف حماس في الأيام السابقة، على الرغم من أن واشنطن أكدت لاحقاً أنها لم ترَ خطة جدار أريحا بنفسها.

على الرغم من ذلك، لم تقم إسرائيل بأي استعدادات خاصة، حيث نفى نتنياهو لاحقاً أنه تلقى مثل هذه التحذيرات على الإطلاق.

ضعف مهرجان نوبا

من بين الجوانب الأكثر إثارة للقلق في المأساة هي مجزرة مهرجان نوبا الموسيقي، حيث قُتل أكثر من 360 شابًا.

تمت الموافقة على تمديد المهرجان إلى 7 أكتوبر من قبل الجيش الإسرائيلي قبل يومين فقط، ومع ذلك لم يتم توفير أي اتصال ميداني أو تعزيزات دفاعية - على الرغم من أن الموقع يقع على مسافة قصيرة من حدود غزة. قبل ساعات من الهجوم، ناقش ضباط الجيش الإسرائيلي والشاباك بشكل خاص احتمال وجود تهديد للمهرجان لكنهم لم يحذروا المنظمين أو يخلوا الموقع.

عندما بدأ الهجوم، كانت القوات الجوية الإسرائيلية في أدنى مستويات الجاهزية منذ سنوات، مع وجود طائرتين مقاتلتين ومروحيتين فقط في حالة تأهب سريع على مستوى البلاد. لم تصل التعزيزات إلى منطقة المهرجان إلا بعد حوالي خمس ساعات من بدء القتل.

التأخر في الاستجابة وفوضى القيادة

لم يتوقف الإخفاق عند الاستخبارات. في صباح 7 أكتوبر، أخرجت حماس الكاميرات وأجهزة الراديو وأجهزة الاستشعار في ضربة منسقة، مما أعاق القوات الإسرائيلية. لم تصدر أوامر التعبئة الأولى إلا بعد أكثر من ساعة من بدء الهجوم. بحلول ذلك الوقت، كان مقاتلو حماس قد اخترقوا 77 نقطة على طول الحدود.

في كيبوتس بنيري، استغرق الأمر ساعات لاستجابة الجيش الإسرائيلي، وقُتل أكثر من 100 من السكان. في نير عوز، وصلت القوات الأولى بعد أن غادر المهاجمون بالفعل. في مهرجان نوبا، اعتقد القادة عن طريق الخطأ أن الموقع قد تم إخلاؤه بينما كان المئات من المحتفلين لا يزالون تحت النار.

العمى الهيكلي والاستراتيجي

غالبًا ما يُؤطر المحللون هذه الإخفاقات تحت مظلة “الكونسبتسيا” - الافتراض بأن حماس كانت مرتدعة، وتركز على الحكم، وغير مهتمة بالحرب الشاملة. عززت هذه الرؤية الثقة المفرطة في “السياج الذكي” في غزة وغيره من الحواجز التكنولوجية، مما ترك إسرائيل غير محمية.

قبل يومين من الهجوم، تم إعادة نشر وحدات الكوماندوز التابعة للجيش الإسرائيلي من غزة إلى الضفة الغربية لحماية المستوطنين، تاركة عددًا قليلًا من الكتائب على حدود غزة. كانت وحدات المراقبة في غزة تعمل بتغطية مخفضة، مع تقليص المراقبة الليلية وعطلات نهاية الأسبوع منذ عام 2021.

تزامن التوقيت - عيد سيمحات تورا، وهو عطلة دينية - مع زيادة الضعف.

التبعات: التحقيقات، الاستقالات، ومسودات التقارير

منذ 7 أكتوبر، وثقت تحقيقات داخلية متعددة الإخفاقات. وصف تحقيق الجيش الإسرائيلي لعام 2025 الأحداث بأنها “فشل كامل” في حماية المدنيين. استقال رئيس الاستخبارات العسكرية اللواء أهارون هاليفا في أبريل 2024، مقبلاً بالمسؤولية عن

أخطاء فرعه. سجل مراجعة الشاباك الخاصة (2025) إخفاقات خطيرة وأثارت توترات سياسية. أصدر المراقب العام للدولة مسودات نتائج تنتقد بشدة قادة الشرطة والجيش بشأن مهرجان نوبا.

ومع ذلك، لم يحدد أي من هذه التقارير نية. وصفوا سوء التقدير، والحكم الخاطي، والشلل - لكن ليس المؤامرة.

من المستفيد؟ مستقبل غزة

على الرغم من ذلك، تبقى الشكوك قائمة. في الأشهر التي تلت 7 أكتوبر، تحولت السياسة الإسرائيلية بشكل حاسم نحو التهجير الجماعي لسكان غزة، مع الحديث العلني عن “الهجرة الطوعية” وإعادة التوطين. حتى الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب طرح فكرة تحويل غزة إلى تطورات عقارية فاخرة، ومشاريع فاخرة، ومركز للتكنولوجيا، وشركات الذكاء الاصطناعي الناشئة، والتصنيع - رؤى مستحيلة دون إزالة جزء كبير من السكان الفلسطينيين أولاً.

هذا يعطي وزناً للحجة بأن الهجوم، على الرغم من دمويته وحقيقته، خدم أغراضاً سياسية واستراتيجية لإسرائيل وحلفائها.

الخلاصة

الأدلة المحيطة بـ 7 أكتوبر ساحقة من ناحية واحدة: كانت لدى إسرائيل المعلومات الاستخباراتية، والتحذيرات، وحتى المؤشرات في الوقت الفعلي لما كان قادمًا. لا يمكن أن يُعزى فشل التصرف إلى إغفال واحد بل إلى سلسلة من القرارات - كل منها يؤخر، أو يرفض، أو يقلل من التهديدات التي كانت واضحة بأثر رجعي.

ما إذا كان هذا يرقى إلى السماح بالمتعمد هو أمر آخر. لم يظهر أي وثيقة أو اعتراف قاطع يثبت النية. ما يوجد هو أدلة ظرفية - ولكن بكمية وغرابة تجعل من الصعب على الكثيرين قبول مجرد الإهمال كالقصة الكاملة.

على أقل تقدير، لم يكن 7 أكتوبر مجرد مأساة مفاجئة. كان فشلاً تم توقعه، وتم التدريب عليه، وحُذر منه، ولكنه سُمح له بالتكشف بشكل غير مفهوم. وفي أعقابها، استُخدمت الدمار لتبرير إجراءات شاملة ضد غزة تتماشى بشكل مقلق مع طموحات طويلة الأمد لإعادة تشكيل الإقليم - خاليًا من الفلسطينيين - إلى عقارات مربحة وصناعة تكنولوجية عالية.

وبالتالي، بينما ينقص الدليل القاطع، تشير السجلات الظرفية بقوة إلى أن 7 أكتوبر، إن لم يكن مُهندسًا، فقد سُمح له على الأقل بالحدوث.

المراجع

- نيويورك تايمز (ديسمبر 2023). إسرائيل عرفت بخطة هجوم حماس قبل أكثر من عام.
- هآرتس (2023-2025). تقارير استقصائية متنوعة حول تحذيرات الوحدة 8200، وشهادات جنود مراقبة الحدود، وتحقيقات الجيش الإسرائيلي الداخلية.
- كان 11 نيوز (2024). عدم استعداد سلاح الجو الإسرائيلي في 7 أكتوبر.
- الغارديان (أكتوبر 2023). مصر حذرت إسرائيل من هجوم حماس قبل أيام من الهجوم، يقول مشرع أمريكي.
- وكالة الأنباء الأسوشيتد برس (أكتوبر 2023). الاستخبارات المصرية حذرت إسرائيل مرارًا من خطط حماس.
- تايمز أوف إسرائيل (2023-2025). تغطية تحقيقات الجيش الإسرائيلي، وموافقات مهرجان نوبا، ومسودات المراقب العام للدولة.

- واشنطن بوست (2023-2024). إعادة بناء أحداث 7 أكتوبر، بما في ذلك تدريبات حماس "في مرأى من الجميع" والاستجابات الإسرائيلية.
- يديعوت أحرونوت (2024-2025). تقارير عن تأخر استجابة الجيش الإسرائيلي في بنيري ونير عوز.
- وحدة المتحدث باسم الجيش الإسرائيلي (فبراير 2025). ملخص نتائج لجنة التحقيق في أحداث 7 أكتوبر.
- مراجعة الشاباك الداخلية (مارس 2025). النتائج حول الإخفاقات الاستخباراتية وثغرات السياسة.
- سي إن إن (2023-2024). تغطية تحذيرات الاستخبارات الدولية وبيانات الولايات المتحدة حول جدار أريحا.
- الجزيرة (2023-2025). تقارير عن سياسات التهجير في غزة ومناقشات حول "الهجرة الطوعية".
- دونالد ج. ترامب، تصريحات الحملة الانتخابية (2024). تعليقات تقترح إعادة تطوير غزة إلى عقارات فاخرة ومراكز تكنولوجيا/تصنيع.